عبدالله في القدس سنة ١٩٥١ . اغتيال هزاع المجالي سنة ١٩٦٠ ، اغتيال وصفي التل سنة ١٩٧١ ، تضاف الى ذلك بعض المحاولات غير الناجحة لاغتيال افراد من الاسرة الهاشمية . أما فيما عدا ذلك فيبدو الفلسطينيون شعبا عاقلا ومنضبطا وصبورا، اذ قلما سمعنا بقيام مظاهرات انفعالية في هذه المنطقة العربية او تلك وقلما سمعنا بردود فعل عاطفية جماعية او فردية ضد وضع اضطهادي ما . بل ان حوادث الاغتيال نفسها تشير الى اتجاه معين : الاسرة الهاشمية وحاشيتها ، اي بمعنى من المعاني : المنافس الاخر على كيان فلسطين او المقتسم الاخر او طرف الاحتكاك المباشر في وجه التحرك الفلسطيني . وبتحديد ادق ظهر العنف الفلسطيني الداخلي مصمما وعنيدا في الحالات التي تضمنت خروجا واضحا على عناصر الموقف العربي او تحديا مباشرا للوجود السياسي الاجتماعي للشعب الفلسطيني .

هل نحن اذا ازاء ظاهرة خنوع وانحلال ام ازاء ظاهرة وعي وتبصر ؟ يدل تاريخ الشعب الفلسطيني انه عرف دائما عدوه وعرف دائما ضخامة عدوه ، ولم يكن ذلك نابعا على الدوام من وعي سياسي نام ولكن من وعي عام — ربما مبهم — بالمأزق الوجودي الذي هوى فيه الشعب الصغير طوال نصف القرن الماضي ابتداء من نهاية الحرب العالمية الاولى . وخلال هذه الفترة كان نضال هذا الشعب يبرز في شكل قمم من النضال المشترك (المشروع) : مرحلة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ . مرحلة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، مرحلة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ . مرحلة ١٩٦٥ — . وقد رافق هذه التحركات العنيفة المشتركة حوادث من الاغتيالات الداخلية غير مستندة الى معيار واضح واهداف متماسكة ، وفيما عدا ذلك كان الشعب الفلسطيني دائما اميل الى تجنب ردود الفعل الانفجارية او حوادث العنف غير الجماعي وغير الهادف . وان عدم توصل هذا الشعب الى نتائج ملموسة حتى اليوم لا ينهض حجة ضد هذه الحقيقة ، ذلك ان التحدي كان دائما اكبر من امكانياته .

ولكن يجب ان لا يتوقع المرء استمرار هذا الضبط الى ما لا نهاية . ومن المستبعد ان تقف المسألة عند هذا الحد لان الظروف السياسية الخاصة للشعب الفلسطيني والظروف العامة للقضية تسير في خط بياني منحدر باستمرار . وان حادثة اغتيال وصفي التل حين توضع ضمن اطارها العام تعتبر مؤشرا لما يمكن ان ينجم عن هذه الظروف السيئة من ردود فعل انفجارية .

ولا يفهمن احد من هذا الكلام انه يتضمن محاولة لتسويغ الحادثة بحد ذاتها او المرافعة لصالح مرتكبيها . انه محاولة لفهم اصح لطبيعة الموقف . وان هذه المحاولة مطلوبة بوجه خاص من اصحاب الحل والربط في الوطن العربي والا فان الوضع سيتفاقم ويتعقد وقد يتحول الى نهاية فاجعة .

وبوجه عام يمكن تلخيص عناصر الوضع على النحو التالي :

اولا : ان الشعب الفلسطيني بعد الثورة يختلف من نواح كثيرة عن الشعب الفلسطيني قبل الثورة : **فمن الناحية النفسية** : كان الشعب صابرا يترقب ويدبر . اما الان فهو في مواجهة الواقع بكل مرارته وقسوته . كان قبل الثورة مستمرا في دفع ضريبة التخلي القهري وغير المقصود عن الارض ولكنه بعد الثورة حقق التبرئة المنشودة واصبح بامكانه ان يلقي اللوم على الاخرين . ولقد زرعت احداث ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ المرعبة جرحا بليغا في قلبه أعمق من جرح ١٩٤٨ . ليس لانه وقع تحت وطأة ظلم ذوي القربى فحسب بل لان كارثة أيلول حلت به وهو في حالة توقعات كبرى وتفتح وتحفز ووعي .